مجلـــــــــــة

آداب الرافدين

علميّـــــة محكّمـــــة

فصليـــّـــة

تصـــدر عن كليـــة الآداب

العـــدد: الثاني والسبعون

السنة: الثامنة والأَربعون

الموصـــــــل

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

الهيئة الاستشارية

- أ.د. وفاء عبد اللطيف عبد العالي – جامعة الموصل/ العراق (اللغة الإنكليزية)
- أ.د. جمعة حسين محمد البياتي – جامعة كركوك / العراق (اللغة العربية)
- أ.د. قيس حاتم هاني الجنابي – جامعة بابل/ العراق (تاريخ وحضارة)
- أ.د.حميد غافل الهاشمي – الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية/ لندن (علم الاجتماع)
- أ.د. رحاب فائز أحمد سيد – جامعة بني سويف / مصر (المعلومات والمكتبات)
- أ. خالد سالم إسماعيل – جامعة الموصل/ العراق (لغات عراقية قديمة)
- أ.م.د. علاء الدين احمد الغرايبة – جامعة الزيتونة/ الأردن (اللسانيات)
- أ.م.د. مصطفى علي دويدار – جامعة طيبة/ السعودية (التاريخ الإسلامي)
- أ.م.د. رقية بنت عبد الله بو سنان – جامعة الأمير عبدالقادر/ الجزائر (علوم الإعلام)

الأفكار الواردة في المجلة جميعاً تعبِّر عن آراء كاتبيها، ولا تعبِّر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة

توجه المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير

كلية الآداب / جامعة الموصل – جمهورية العراق

E-mail: adabarafidayn@gmail.com

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: الثاني والسبعون — السنة: الثامنة والأربعون

رئيس التحـــرير

أ.د. شفيق إبراهيم صالح الجبوري

سكرتير التحرير

أ.م.د.بشار أكرم جميل

هيئة التحرير

أ.د.محمود صالح إسماعيل	أ.د.عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن
أ.د.مؤيد عباس عبد الحسن	أ.د.علي أحمد خضر المعـــماري
أ.م.د.سلطان جبر سلطان	أ.م.د. أحمد إبراهيم خضر اللهيبي
أ.م.د. زياد كمال مصطفى	أ.م. قتيبة شهاب احمد

المتابعة والتقويم اللغوي

م.د.شيبان أديب رمضان الشيباني	– مدير متابعة هيئة التحرير
أ.م.أسامة حميد إبراهيم	– مقوّم لغوي/ لغة الإنكليزية
م.د. خالد حازم عيدان	– مقوّم لغوي/ لغة عربية
م. مترجم.إيمان جرجيس أَميـــــن	– إدارة المتابعـــــــة
م. مترجم.نجلاء أَحمد حســـين	– إدارة المتابعـــــــة
م.مبرمج. أحمد إحسان عبدالغني	– مسؤول النشر الإلكتروني

قواعد النشر في المجلة

- يقدم البحث مطبوعاً بدقة، ويكتب عنوانه واسم كاتبه مقروناً بلقبه العلمي للانتفاع باللقب في الترتيب الداخلي لعدد النشر.
- تكون الطباعة القياسية بحسب المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١٢)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطراً تحت سطر ترويس الصفحة بالعنوان واسم الكاتب واسم المجلة، ورقم العدد وسنة النشر، وحين يزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها، تتقاضي هيئة التحرير مبلغ (٢٠٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة فوق العددين المذكورين، فضلاً عن الرسوم المدفوعة عند تسليم البحث للنشر والحصول على ورقة القبول؛ لتغطية نفقات الخبرات العلمية والتحكيم والطباعة والإصدار .
- ترتب الهوامش أرقاماً لكل صفحة، ويعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول .
- يقدم الباحث تعهداً عند تقديم البحث يتضمن الإقرار بأنَّ البحث ليس مأخوذاً (كلاً أو بعضاً) بطريقة غير أصولية وغير موثقة من الرسائل والأطاريح الجامعية والدوريات، أو من المنشور المشاع على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت).
- يحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويحال – إن اختلف الخبيران – إلى (محكم) للفحص الأخير وترجيح جهة القبول أو الرد.
- لا ترد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .
- يتعين على الباحث إعادة البحث مصححاً على هدي آراء الخبراء في مدة أقصاها (شهر واحد)، ويسقط حقه بأسبقية النشر بعد ذلك نتيجة للتأخير، ويكون تقديم البحث بصورته الأخيرة في نسخة ورقية وقرص مكتنز (CD) مصححاً تصحيحاً لغوياً وطباعياً متقناً، وتقع على الباحث مسؤولية ما يكون في بحثه من الأخطاء خلاف ذلك، وستخضع هيئة التحرير نسخ البحوث في كل عدد لقراءة لغوية شاملة أخرى، يقوم بها خبراء لغويون مختصون زيادة في الحيطة والحذر من الأغاليط والتصحيفات والتحريفات، مع تدقيق الملخصين المقدمين من جهة الباحث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، وترجمة ما يلزم الترجمة من ذلك عند الضرورة.

((هيئة التحرير))

المحتويـــــــــات

العنـوان	الصفحة
الإعجاز البلاغي في القصة القرآنية قصة قارون مثالاً أ.م.د. عبد الستار فاضل خضر	١ - ١٨
الحداثة وتجليات سلطة القراءة للنص القرآني أ.م.د. فارس عبدالله بدر الرحاوي	١٩ - ٤٦
الملامح الصوتية عند سيد قطب دراسة تحليلية أ.م.د.فيصل مرعي الطائي	٤٧ - ٦٨
صورة الممدوح في شعر مسلم بن الوليد المعروف (بصريع الغواني) أ.د.غانم سعيد حسن الطائي و م.د. علي غانم سعدالله	٦٩ - ٨٤
الفروق الدلالية بين المتفق خطاً والمختلف لفظاً ومعنىً من المقصور والممدود والمقصور والمهموز أ.م.د. أحمد ابراهيم خضر و م.د.إيناس وليد أسعد	٨٥ - ١٠٤
بعض الظواهر الصوتية وأثرها في تحديد أحرف الجذور اللغوية المعتلة مقاييس اللغة لابن فارس أنموذجًا أ.م.د. عزّة عدنان أحمد عزّت و الباحثة غيداء عادل عبد القادر	١٠٥ - ١٣٠
سيرة محمد بن مصطفى التِّيره وي وكتابه : (روح الشروح) مع تحقيق قطعة من مقدِّمته أ.م.د. معن يحيى محمد العبادي و م.د.شيبان أديب رمضان الشيباني	١٣١ - ١٥٦
المساءلة الحجاجية في الشعر العربي نماذج مختارة م.د. عبدالله بيرم يونس	١٥٧ - ١٨٢
مما صحّحه القاسم بن علي الحريري (٥١٦هـ) من مسائل دلالية في كتابه (درة الغواص في اوهام الخواص) م.د.أ حمد مرعي حسن العباس	١٨٣-٢٠٨
الفُروق التعبيرية في الحوار بين الرُسُل وأقوامِهِم في القرآن الكريم - سورة الأعراف أنموذجاً – م.د. أحمد عامر سلطان الدليمي	٢٠٩-٢٣٢
أثر الصوت اللغوي في التواصل دراسة في يائية مالك بن الريب م.د.إدريس سليمان مصطفى و م.د. مسعود سليمان مصطفى	٢٣٣-٢٥٨
البعد الدلالي للبناء للمعلوم والبناء للمجهول في القراءات القرآنية - سورة الأَنعام نموذجًا م.م. هلات حسن جرجيس	٢٥٩-٢٩٨
الاصلاحات الاقتصادية في دولة المغول الايلخانية في بلاد ايران والعراق على عهد السلطان محمود غازان (٦٩٤-٧٠٣هـ/ ١٢٩٤-١٣٠٣م) م.د. مصطفى هاشم عبد العزيز الحنون	٢٩٩-٣٢٠

سرايا وبعوث الرسول][rفي كتاب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الشامي المتوفى ٩٤٢هـ/ ١٥٣٦م دراسة في مصادره م.د. هناء سالم ضايع	٣٢١ - ٣٤٠
المرابطون والموحدون دراسة في عناصر الوحدة والتنوع الاداري والاقتصادي م.د سالمة محمود محمد عبد القادر	٣٤١ - ٣٧٦
عطاء النساء في عصر الراشدين – قراءة تاريخية تحليلية- م.م. محمد نجمان ياسين عباس	٣٧٧ - ٣٩٤
ثقافة حقوق الإنسان في ظل الظروف العربية الراهنة الواقع والطموح ا.م.د حمدان رمضان محمد و م.د محمد سعيد حسين	٣٩٥- ٤٣٨
الصناعات الصغيرة والمتوسطة ودورها في الحد من البطالة دراسة اجتماعية تحليلية م.د.هاني احمد العبادي	٤٣٩ – 458
الانعكاسات الاقتصادية للترفيه على الأسرة الموصلية دراسة ميدانية في مدينة الموصل م. أميرة وحيد خطاب	٤٥٩ – ٤٨٦
الرسائل الجامعية الممنوحة في الجامعات العراقية في مجال المعلومات والمكتبات: دراسة ببليومترية ١٩٨٨-٢٠١٢ أ.م.سعد احمد إسماعيل و م.م.حسام عبدالكريم عبدالله البدراني	٤٨٧ – ٥١٢
متاجر الكتب العربية على الانترنت نشأتها، محتوياتها، خدماتها، امن معلوماتها أ.م. سمية يونس سعيد الخفاف و م.باحث عبد القادر احمد علي	٥١٣ – ٥٥٤
تجربة الفهرس العربي الموحد في المكتبة المركزية لجامعة الموصل م. رفل نزار الخيرو و م.م. رواء صلاح الدين زيادة	٥٥٥ – ٥٨٤
تحليل الاستشهادات المرجعية لرسائل الماجستير لقسم الإحصاء في جامعة الموصل للعام (١٩٨٨-٢٠٠٩) م. وسن سامي سعدالله	٥٨٥ – ٦١٦
الحوسبة السحابية ومدى أهميتها للمكتبات ومراكز المعلومات م.م. نور فارس العمري و م.م. عمر توفيق عبد القادر	٦١٧ – ٦٤٨
المظلات الملكية الآشورية في ضوء المشاهد النحتية م.م. ليال خليل إسماعيل	٦٤٩ – ٦٦٦
مفهوم البيئة في المجتمعات المدنية على ضوء الفقه الإسلامي دراسة تحليلية أ.م.د. ميكائيل رشيد علي الزيباري	٦٦٧ – ٦٩٤

المساءلة الحجاجية في الشعر العربي
نماذج مختارة

أ.م.د. عبدالله بيرم يونس *

تأريخ التقديم: ٢٠١٤/١/٢ تأريخ القبول: ٢٠١٤/٤/٢

المقدمة:

تُعدُّ نظرية المساءلة إحدى النظريات المعاصرة التي قامت بمعالجة الخطاب بصفة عامة والخطاب الذي يتمُّ داخل عمليات التخاطب بصفة خاصة سواء كان تواصلاً عاديّاً أم حجاجاً يهدف إلى الإقناع ، وقد استطاع "مايير" – اعتماداً على منطلقات معرفية ومرتكزات فلسفية – أن يُؤسّس منهجاً تساؤليّاً يقوم على مبدأين اثنين هما: (١)

- **الأول: مبدأ الإفتراض المؤسس على الجواب والسؤال المفترضين:**

تقوم كل الأقوال في العمليات التخاطبية على مبدأ الإفتراض المؤسس على الجواب والسؤال المفترضين، انطلاقاً من مجموعة من المقومات التي تحكم العمليات التواصلية، كالسياق والمعلومات الموسوعية والتجربة الذاتية والقدرات التفكيرية والتأويلية والتخييلية، إذ يصبح كل قول سواء كان (خبراً ، إنشاء ، سؤالاً ، تعجباً ، أمراً ، نهياً ...) افتراضاً لشيء ما داخل سياق تخاطبي معين، أي جواباً عن سؤال سابق، وسؤالاً لجواب لاحق، وبهذا يعبر الافتراض عن انتظارات متعددة ومختلفة تقتضيها العلاقات الإنسانية لتحقيق أهدافها ومراميها.

- **الثاني: مبدأ الاختلاف الإشكالي داخل الأقوال:**

يقوم هذا المبدأ على طرح الاختلافات القائمة بين الأقوال ويهدف إلى تحقيق وظيفة القول، تواصلاً أو إقناعاً، وهذه الاختلافات هي الميزة الحقيقية في العمليات التخاطبية، ليس بوصفها تنوعات قولية في الشكل والمضمون، بل بوصفها اختلافات

---

* قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة سوران .

(١) ينظر:عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، د. عبد السلام عشير، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، ٢٠٠٩.: ١٩٦.

تحكمها ضرورات ترتبط بالمعارف والخلفيات السياقية والثقافية التي يتوفر عليها الذهن البشري.

الأبعاد الثلاثية للمساءلة الحجاجية:

إن انفتاح تصورات "مايير" على الفلسفة واللغة ونظرية المعنى أساساً، وانطلاقها في البدء من أفكار نظرية بيرلمان الذي يستشهد بمقولاته كثيراً جعلها ذات أبعاد ثلاثة، هي:

١. البعد التداولي: من حيث بحثها في ظروف إنجاز الخطاب وآلياته.
٢. البعد التأويلي: من حيث علاقة السؤال بالجواب وما يتطلبه من تأويل لمكونات كل منهما وروافده المغذية له.
٣. البعد البلاغي: من حيث أنها مرتبطة بالحجاج، وانفتاح هذا الأخير على مختلف وسائل الاتصال الكائنة وكذا الممكنة(١)

مفهوم الحجاج عند مايير:

يُعرّف "مايير" الحجاج قائلاً "الحجاج هو دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنيه"(٢).

يقدم هذا المفهوم وجهة نظر مايير للخطاب الحجاجي، وهي أنه يوجد في معنى الجملة الحرفي شارة / سمة حجاجية (marqueur argumentative) تُؤدي إلى ظهور الضمني في ضوء ما يمليه المقام وتلوِّحُ بنتيجة ما تكون مقنعة أو غير مقنعة (٣) .

إنّ القسم الذي يكاد "مايير" يختص به في صياغته لمفهوم الحجاج هو القسم المتعلق بربط الحجاج بنظرية المساءلة، فما الحجة عنده إلا جواب أو وجهة نظر يجاب

(١) ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ، لبنان، ٢٠٠٨:١٣٨.

(٢) M.Meyer , logique , langage et argumentation , 11. نقلا عن الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبدالله صولة، كلية الآداب والفنون منوبة، جامعة منوبة، تونس، ٢٠٠١.: ٣٧ .

(٣) ينظر: الحجاج في القرآن: ٣٧.

بها عن سؤال مقدر يستنتجه المتلقي ضمنياً من ذلك الجواب ويكون ذلك في ضوء المقام وبوحي منه.

إنّ السؤال ليس مشكلة موجودة، بحيث لا يكون المتلقي في نهاية المطاف وهو يقرأ الحجج الصريحة أو الأجوبة في خطاب ما إلا طارح أسئلة يستنتجها ضمنياً من خلال تلك الأجوبة المقدمة في النص ، مستعيناً بالمعطيات التي يوفرها المقام ، غير أن السؤال في هذه النظرية لا يكون في شكل جملة ، إذ يتجاوز نطاق اللغة، وإن كانت الجملة تمثل أفضل إطار يُجسِّد السؤال(١).

إن آراء "مايير" في الحجاج متصلة بتحديده طبيعة الكلام ووظيفته التساؤلية، إذ أنه لما كان الكلام إثارة للسؤال أو استدعاء له لزم أن يتولّد عن ذلك نقاش يُولِّد بدوره حجاجاً، فالحجاج لديه محايث لاستعمال الكلام ، لأن الكلام يتضمّن بالقوة سؤالاً يستمدُّ منه دلالته، والحجاج لا يتصل بضرب مخصوص من الخطابات ، بل يشمل كل ضروب الخطاب الشفوي والمكتوب والأدبي وغيره. إن الحجاج متعلق _إذن_ لدى مايير بنظرية المساءلة وهو يشتغل بوصفه ضرورة تُؤدي إلى نتيجة أو موقف نحمل الغير على اتخاذه إزاء مشكل مطروح في سياق يوفر للمتخاطبين مواد إخبارية ضرورية للقيام بعملية الاستنتاج المتصل بالزوج (سؤال / جواب) (٢)

ومن هنا يوظف مايير مفهومين أساسيين في عملية الحجاج هما: الضمني والمصرّح به، فالمصرّح به هو ظاهر السؤال أمّا ما هو ضمني فتلك الإمكانات المختلفة للإجابة عن السؤال الواحد؟

ويمكن أن نمثّل الضمني والصريح في نظرية مايير الحجاجية بالخطاطة التالية:

حجاج صريح ←——— الحجة (وهو جواب مصرح به)

حجاج ضمني ←——— سؤال (يكتشفه المتلقي بمعطيات مقامية)

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٣٩.

(٢) ينظر: البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشيل مايير، محمد علي القارصي، بحث ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمّادي صمّود:٣٩٤.

وفي حالة الصريح والضمني للسؤال "البعد التداولي" "تستغلُّ القيمة الحجاجية الضمنية للاستفهام لإنجاز فعل حجاجي"[١] فالمتكلم الذي يستعمل أداة الاستفهام المختصة "هل" ليعبر عن شكّه يقوم بالوقت نفسه بتمثله ، أي: أنه لا يقول صراحة أنه يشك وإنما يستنتج ذلك ضمناً من خلال صيغة السؤال المطروح في القضية الاستفهامية، فالقضية هي موضوع القول للتأكيد أو التشكيك، فهي موضوع إظهار التقابل بين القول والتمثيل أو التعبير بالعلامات غير اللسانية يسمح بتقرير الموقف الإنجازي أي الموقف الفعلي لعامل النفي والاستفهام والتعجب، فمن خلال التلفظ بـ إيه و آه ، لا نقول بأننا نشتكي أو نتألم أو نشعر بالندم أو بأننا غير مبالين أو غير مكترثين، إننا هنا نمثِّلُ الألم أو اللامبالاة، وبنفس الشكل عند طرح السؤال لا نقول بأننا متشككين في قضية، وإنما نتصرف على أساس أننا نشعر بذلك[٢]. فالجانب التداولي للحجاج يظهر من خلال استعمال بنية لغوية مُعيّنة (كالبنية الاستفهامية)، تتحكّمُ فيها ضوابط خارجية عن هذه البنية وتدفع بالمتلقي إلى فعل معيّن سواء على مستوى سلوكياته أو على مستوى قناعاته وأفكاره، وبالتالي ترتسم بنية الحجاج في شكل فعل كلامي مؤلف من فعل لفظي وفعل إنجازي وآخر تأثيري حسب رؤية أوستين[٣].

وعلى هذا الأساس فإن الفعل اللغوي المتمثل في البنية الاستفهامية داخل الخطاب الأدبي يُعدُّ فعلاً حجاجياً بالدرجة الأولى، فعملية إنتاجه ليست عملاً غفلاً، وإنما نتيجة توظيف استراتيجي داخل الخطاب الأدبي، فليس غرضه البحث عن الإجابة أو إثارة

(١) إستراتيجية الخطاب الشعري عند أبي الطيّب المتنبي مقاربة تداولية، خليفة بولفعة، إشراف: د.محمد قريبيز، (رسالة ماجستير)، كلية الحقوق والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر، ٢٠٠٨.:١٩٦.

(٢) ينظر: إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤.: ١٩٧.

(٣) ينظر: الحجاج في النص القرآني، سورة الأنبياء أنوذجاً (رسالة ماجستير) إعداد: إيمان درنوني، إشراف: د. الحودي مرداسي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر بانتة، ٢٠١٢_٢٠١٣.: ٦٢،٦٣.

السؤال، بقدر ما هو فعل أدبي يمتدُّ إلى ما لا نهاية، فتكون قيمته وفعاليته في كونه غير محدود وغير قابل للإجابة، فأيُّ إجابة عليه هي انحسار لتأثيره وقتل له[١] .

المساءلة الحجاجية والبلاغة:

تنهض البلاغة لغوياً بما يضمن تحديد أشكال الإقناع والتأثير بحسب مقصد المخاطب ومقتضيات المقام ، وهذه الأشكال البلاغية ذات الوظيفة الإقناعية، لها علاقة وطيدة بالمساءلة ، ذلك أن اعتماد المخاطِب صورة بلاغية في الخطاب هو في الواقع ليس إلا طرحاً لسؤال يقتضي جواباً إشكالياً، فالصورة البلاغية وتحديداً التشبيه المجمل أو البليغ أو الاستعارة تمثل عند "مايير" الفكر في جوهر حركته الاستفهامية، وذلك فيما توفره من طاقة إقناعية هائلة حين تجعل المتلقي يستنتج أمراً وهو يجيب عن السؤال المطروح، فيتقيد به إذ ما يستنتجه بنفسه يصعب عليه فيما بعد رده[٢].

إن "مايير" يعتبر أن كل بلاغة حجاج وكل حجاج بلاغة، أي أنه يطابق بين المفهومين، إذ هما (البلاغة والحجاج) – في نظره– يهدفان إلى تضييق شقة الخلاف بين المحاورين والمتخاطبين أو إلغائها.

ويحلل مايير الفكرة الأساسية لـ "مفاوضة المسافة" من خلال عرضه الإمكانات البلاغية الدقيقة التي تحتكم إليها والتي تتمثّل في:

١. بنية الصور البلاغية:

يرى "مايير" أن للصورة البلاغية دوراً في جذب السامع وتحريك خياله حتى يستوعب الأفكار و الصور المقدمة لديه، ويعدُّ المجاز أهمّها، لأنه "يخلقُ المعنى ويصدم كل من لا يشاطر المتكلم وجهة نظره وهو إلى ذلك طريقة التعبير عن الأهواء والانفعالات والمشاعر التي هي صور من الإنسان مثلما يكون المجاز صورة من الأسلوب"[٣].

---

(١) ينظر: استراتيجية الخطاب الشعري: ١٩٧.

(٢) ينظر: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة: بنيته وأساليبه، د. ساميه الدريدي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط١، ٢٠٠٨.: ١٤٦.

(٣) ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة: ١٣٦.

إن الصورة البلاغية إذا ما طرحت في الخطاب فذاك يعني أنّ سؤالاً طرح فيه، والسؤال يستدعي بالضرورة جواباً، يستفهمُ السامع ويدعوه إلى الإجابة عن السؤال المطروح وتتأتى الإجابة بتجاوز ظاهر اللفظ الحامل، فالجواب سؤال في حدِّ ذاته لأنه يحدِّدُ وجهاً واحداً من الجواب وتبقى بقية الوجوه متعلقة بأسئلة جديدة تطرح

وانطلاقاً من هذا المبدأ التأسيسي العام المتصل في نهاية الأمر ببنية الفكر المسائل ووظيفته يبين "مايير" من خلال أمثلة علاقة السؤال بالجواب ودورها في تأسيس الصور البلاغية. ويوضح محمد علي القارصي فكرة "مايير" بسوقه المثال التقريبي الآتي:

"**محمد أسد**"

لا ريب أنّ ظاهر اللفظ في هذه الجملة لا يفيد الحقيقة وعندها يتساءل المخاطَب عن مقصد المتكلم وعن سبب اقتران محمد بالأسد، إن الاختلاف القائم بين المسند والمسند إليه هو أصل هذا التساؤل ومصدره ولا يكون الحل إلا في الجواب المفسِّر للتماهي الصوري (البلاغي) بين الطرفين و يؤكد "مايير" أن هذا التماهي البلاغي هو الفضاء الذي يواجه المخاطب، فظاهر اللفظ في هذه الجملة لا يفيد الحقيقة، وعندها يتساءل المخاطَب عن العلاقة بين محمد والأسد، فالاختلاف بين محمد والأسد أي بين المسند والمسند إليه هو أصل التساؤل ومصدره، ولا يكون الحل إلا في الجواب المفسر للعلاقة بين الطرفين، يرى "مايير" في هذه الحالة أن هناك ثلاثة مستويات: مستوى الإنسان الذي يراد وصفه "محمد" ومستوى الحيوان "الأسد" والمستوى المشترك "الشجاعة" لكن الإنجاز البياني المكتوب أو المنطوق به يسكت عن الحلقة الوسطى وهي الشجاعة ويفضي المجاز إلى تماهي بلاغي بين محمد والأسد، وهنا ينهض السؤال الباحث عن عوامل التشابه والاختلاف بين الطرفين (محمد) و(أسد) [1].

وإذا نظرنا إلى الأمثال العربية كذلك نجد أنها تتوجّه بالأساس للإجابة عن سؤال معيّن ، فهي لا تبحث عن حدث ولا تطلب شخصية ولا تديم لغزاً، بل تتوجّه بالتحديد لتجربة

(١) ينظر: البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشيل مايير، محمد علي القارصي، بحث مقدم ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، مجموعة باحثين، إشراف حمّادي صمّود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس: ٣٩٦.

المثل التي تفترض دوران (صيغته) بين الناس بما يوجّه السؤال على نحو أكثر تخصيصاً لمعاينة (الكيفيّة) التي تجلّت بها الصيغة، فإن سؤالاً سرديّاً معيّناً مثل (كيف كان ذلك؟) يُشكّلُ موقعاً خاصّاً في أفق إنتاج نصوص الأمثال وتنظيم مجالها القصصي إلى جانب كونه مسؤولاً إلى حدٍّ بعيد عن إبراز محفّزات الحكي في العديد من أنواع وأشكال السرد العربي القديم ممّا يمكّن السرد، مع توالي السؤال، من تغيير نسائجه، وإن عملت جميعها في مجال معلوم(١).

وفي الجانب الشعري إذا أخذنا قول النابغة: (٢)

فإنك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طلعتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

فإننا سنواجه مشكلة مُطابقة الملفوظ للواقع في الحقيقة، وعندها يتساءلُ المُخاطب عن قصد المتكلّم وسبب اقتران الممدوح بالشمس والملوك بالكواكب؟ ويُعزى هذا التساؤل إلى الاختلاف القائم بين المسند والمسند إليه، ولا يكون الحل إلا في الجواب المفسر للتماهي البلاغي بين الطرفين في ظل استتار الطرف الثالث الذي يُمثّله وجه الشّبه بين المُشبّه والمُشبّه به والذي يُمثّل وحدة مُعجميّة صغرى تظهرُ في الحقل الدلالي للممدوح، والحقل الدّلالي لكلٍ من الشمس والكوكب هو "الإضاءة" وهذه الوحدة تلعبُ دوراً أساساً في إقامة الترابط والانسجام الدلالي في التركيب اللغوي(٣)

إن المجاز في هذه الحالة يعمل أيضاً على الترابط النصي والخطاب من خلال الربط بين الملفوظات وإعطائها تعدّداً صوتياً أو حوارياً بواسطة ما يوحي به المتلفظ وكأنه ينطلق من مجادلة متلفظ آخر يناقض وجهة نظره. وتبدو فعاليتها في هذا المجال في تعدد ذوات

(١) ينظر: سرد الأمثال، دراسة في البنية السّرديّة لكتب الأمثال العربية مع عناية بكتاب المُفضّل بن محمد الضبي (أمثال العرب)، د. لؤي حمزة عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣: ٩٧.

(٢) ديوان النابغة الذبياني، تحقيق حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، لبنان ،ط٢، ٢٠٠٥: ٢٠.

(٣) ينظر: نظرية الحجاج، د. نعمان بوقرة، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، سوريا، اتحاد الكتاب العرب، العدد ٤٠٧، ٢٠٠٥. :٩٥.

المرسل عند اختياره للاستعارة في حجاجه دون غيرها انطلاقاً من النظر في المعنى الحقيقي في حال إظهاره وتأويله(١)

فالمجاز عند مايير يُمثِّل الفكر في جوهر حركته الاستفهامية ولكنه من جهة ثانية يُتيحُ لكل فرد أن يوقف مفعول السؤال متى شاء وذلك عن طريق تقديم جواب مُحدّد للصورة المجازية.

هكذا، فشرح الصور الاستعارية والكنائية والمجازية عموماً هو توقيف لمفعول السؤال، لكن المعروف أن الصور تبقى محتفظة على الدوام باستمرارية السؤال مادامت تحتفظ باستقلالها المادي في النصوص عن جميع قرائها. على أنه في نظر مايير يمكن كما أشرنا تحويل كل إجابة إلى سؤال أو أسئلة جديدة، يضاف إلى هذا كله أن الأدب هو من أكثر الحقول التعبيرية التي تحتوي على القيم الخلافية التي ليس من الضروري أن يقبلها جميع المتلقين وقد يكون لكل واحد حججه الكافية لدحض التصورات الماثلة في النصوص.

وبهذا الطرح تكون الصور البلاغية ذات طبيعة حجاجية تساؤلية، لأنها تُلمِحُ إلى المقصود وإلى الإجابة عن الإشكال المطروح، أو بالأحرى نقول إنها تُشيرُ إلى جزء من الإجابة، لأنّ الإجابة الكاملة والنهائية عن قضية اجتماعية إنسانية ما تُعدُّ أمراً مُتعذّراً، وبالتالي فإنّ الأجزاء الباقية من الإجابة تتناسل منها تساؤلات عِدّة، بحسب المقام والموضوع، تفتح بدورها الخطاب على العديد من الاحتمالات والآراء التي تُعدُّ المشاركة الإيجابية فيها من قِبل المخاطَبين دليلاً على تحقق الرسالة التي بثّها المتكلم، والعكسُ صحيح أيضاً، أي إن عزوفهم عن إثارة التساؤلات المكمّلة للقضية دليل على عدم نجاحها _نعني المُرسلة_ في بلوغ مناطق الوعي والاهتمام الفكريين(٢).

إن تحليل "مايير" لظاهرة المساءلة المتصلة ببنية الوجوه البلاغية يتخلله تأكيد على ما تلعبه من دور حجاجي، وفي هذا المستوى بالذات يسير على خطى بيرلمان

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٤٩٦.

(٢) ينظر: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، د. محمد طروس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٥: ٤٦.

ويستشهد بقولته المعروفة " تهدف الوجوه البلاغية إلى إبراز حضور ما وتوكيده أو تلطيفه كما تجلو للعيان ما قد نفهمه أو نعتبره غير مفيد"(١) .

٢. العلاقات الخطابية:

تمثل الخطابة الأرسطية مصدراً نظرياً هامّاً من مصادر "مايير" في تعميق دراسته للعلاقات الخطابية المتصلة بالحجاج، فهو ينطلق من وسائل الاستمالة الخطابية التي حدّدها أرسطو والمتمثلة في: الإيتوس والباتوس واللوغوس (٢) وما يحتفظ به "مايير" من مقومات هذه الخطابة تلك العلاقة الثنائية المؤسسة أي علاقة المتكلم بالمخاطب حول مسألة ما ، مختزلاً بذلك الوسائل التي يتمُّ استمالة المخاطِب وإقناعه، وهذه العلاقة الثنائية في رأيه ذات أسس عقلية فكرية ، بحيث تكون للخطيب طاقة تأثيرية من جهة وثقافة ووعي بمستويات مخاطبيه وأهدافهم من جهة ثانية، ويكون "مايير" بذلك قد أعلى من شأن المتكلم بإحلاله محل العارف المتيقن والذي سوف يكسب الخطاب مصداقية ونجاعة يحمل المخاطَب على تصديق ما جاب به، وتهيء هذه العلاقة الفضاء الأمثل لإثارة السؤال وإذكاء المساءلة المستمرة القائمة على الحجاج، بوصفه مفاوضة للمسافة بين الطرفين(٣) وتكييفها حسب مقاصد المخاطِب.

إنّ البلاغة في منظور مايير لم تعد مرتبطة بفن الاقتناع أو فن التعبير فقط بل أصبحت طرحاً إشكالياً لمختلف القضايا والتساؤلات التي عالجتها النظريات المعرفية

---

(١) ينظر:المصدر نفسه: ٣٩٧.

(٢) الإيتوس: هو مجموع الخصال المتصلة بالخطيب والمؤدية إلى إحلال الثقة في الجمهور ويعبّر عنها بـ "الأخلاق" ، والباتوس: هو ما ينبغي أن يثيره الخطيب في الجمهور من مشاعر وأحاسيس وانفعالات تحقق اقتناعه وتسليمه بمحتوى الخطاب، واللوغوس: هو الخطاب نفسه ويُعبّر عنه اللغويّون المحدثون "بالرسالة" التي يلعب فيها الأداء اللغوي دوراً حاسماً في تحقيق هذه الاستمالة سواء بجمالية الخطاب أو بسطوة الحجاج العقلي أو بهما معاً.

(٣) إن القول الحجاجي الهادف أساسه عملية المفاوضة التي تدور بين المتخاطبين حول المسافة، وهي الطريقة التي يتعامل بها الناس فيما بينهم إزاء المسائل التي تشغل تفكيرهم، وما ينتج عن ذلك من اختلاف أو اتفاق أو رغبة في التقارب أو التنافر أو الحياد، وهي مواقف تندرج في صلب الحجاج وتفترض استعمال أساليب وآليات حجاجية متعددة لتقريب المسافة وتحدد أيضاً أشكال بروز المتخاطبين اللغوية، كما تحدد كذلك طريقة تشخيصهم للقضايا المطروحة. (ينظر: عندما نتواصل نغير:٢٠٤).

داخل نظام اللغة وخارج نظامها، أي كل ما هو متعلق بالإنسان: الذاكرة والعقل ومعارف موسوعية، إنها عناصر تُشكِّلُ أساس العلاقات التخاطبية بين الناس، علاقات تخاطبية غير جاهزة أو معطاة، بل هي علاقات مفترضة: أسئلة وأجوبة، وأجوبة وأسئلة في نفس الوقت، فاستعمال اللغة يعني إثارة الانتباه حول سؤال مفترض، قد نكون متفقين حول مضمونه أو قد لا نكون، لكنه يُشكِّلُ نقطة انطلاق التواصل بين الناس، إن المعرفة والوعي المميزين للمتكلم يُتيحان له صياغة التساؤلات الجوهرية الحجاجية التي يستدعيها المقام، كما يمكنانه أيضاً من تحويل مخاطبيه من موقع المستمعين السلبيين إلى المشاركين الفعليين، وخاصة عندما يمنحهم الثقة في أنفسهم ويؤكد لهم حضورهم وتوقف كل شيء على ردود أفعالهم وإنجازاتهم(١)، وعلى هذا الأساس يعيد "مايير" صياغة العناصر الخطابية السابقة في ثلاثة أركان أساسية هي: الأخلاق ، السؤال ، والجواب . ويكون بهذا قد اختزل عنصر المخاطب وهو يقر بأهميته وألحقه بالمتكلم، كما ويكون قد فرّغ اللوغوس الأرسطي إلى عنصرين: السؤال والجواب.

٣. الحجاج وثنائية (سؤال / جواب)

يرى "مايير" أن طرح السؤال يمكن أن يضخم الاختلاف حول موضوع ما إذا كان المخاطَب لا يُشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما، كما يمكن أن يلطف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف إذا كان المخاطَب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم، وبإمكان المتكلم كذلك تعميق نقاط الاتفاق مع المخاطَب إذا ما كان مقراً بما يطرحه عليه من أجوبة،

أما الجواب فهو ينهض كذلك مثل السؤال بوظيفته الحجاجية القائمة على مفاوضة المسافة(٢) فيُبرز مواطن الاتفاق بين الطرفين أو يُقلِّلُ من شأن المختلف حولها، أما إذا كان هدف المتكلم تعميق المسافة بينه وبين مخاطبه فيعمد كما في السؤال إلى تضخيم

(١) ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة:١٣٨،١٣٧.

(٢) تتمظهر المسافة الحجاجية في كل العلاقات التي تجمع بين البشر والتي اختزلها "مايير" في لعبة الهوية والاختلاف، فالهوية هي تقريب للعواطف والأحاسيس المشتركة بين الناس أي تقريب للمسافة التي تفصل بينهم، أما الاختلاف فيمثل كل أشكال التعارض والتباين بين الناس، ويتجسد في السلطة والإقصاء ... الذي يمارسه فعل الاختلاف، أي توسيع المسافة. (ينظر: عندما نتواصل نغير: ٢٠٤).

مواطن الاختلاف وغض الطرف عن مواضع الاتفاق أو تأجيل النظر فيها[١]، وعندما يوضع السؤال، يوضعُ معه في الوقت نفسه رأي مخالف أو مناقشة (حوار، مشادّة، مجادلة) ومن هنا فإن طرح السؤال يعني ضرورة الحجاج، وأن الحجة تعني الإتيان برأي أو موقف حول سؤال ما ، وهكذا فإن الحجاج ينبثق من نظرية التساؤل ومن صلبها[٢]، وإذا كان السؤال مطروحاً في سياق معين، فإن الحجة تصير جواباً يتخذ مكان نتيجة السؤال، والمرور من السؤال إلى الجواب يستنتج من السياق والمعلومات التي يمنحها هذا الأخير، أما النتيجة المحصلة فهي مجرد إمكانية كأي جواب ينتظره سؤال ما، فالسياق إذن، يمدُّ الأطراف المتحاورة بالموارد أو الوسائل الإخبارية الضرورية لاستخلاص الجواب/ النتيجة، وكل حل يبقى إشكالياً، لأنه لا شيء يضمن أنّ هذا الجواب هو المُتوخّى من قبل واضعه، إذ أن المتكلم/ الناطق يمكن أن يخلق حواراً/ مناقشة في الوقت الذي كان يعتقد أنه قد أنهاه. لهذا قيل أن الأسئلة أهمُّ من الأجوبة وأنّ كل جواب يصير بدوره محطَّ سؤال فيما بعد[٣].

إن الاستفهام هو تشخيص لموطن الأشكلة في الداخل وليس في الخارج، بمعنى هي في السؤال ذاته أو ما وراءه، إنها مساءلة له وإعادة نقدية لوجوده، فبدون هذا الفحص يسقط النظر التأويلي في بداهة السؤال– جواب. إنها علاقة التوحّد والتطابق بينهما ، وهو ما بلورته النزعة القضوية في بعدها الماهوي. يقول ميشيل مايير : فتبعا للمقاربة التي تعتمد مبحث الإشكال يكون الجواب أكثر سلبية، فليس هناك تقدما ولا تراكمات في الأجوبة كما هو الأمر في العلم لسبب بسيط وهو أن طبيعة الأجوبة مختلفة ولا يمكن اختزالها إلى القضوية[٤].

---

(١) ينظر: البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشيل مايير: ٣٩٩.

(٢) ينظر: الحجاج في الفلسفة وفي تدريسها، حميد اعبيدة، بحث مقدم ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم د.حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٠ : ٣/٨٦.

(٣) ينظر: المصدر نفسه:٣/٨٦.

(٤) ينظر: الدرس الفلسفي والأشكلة http://philo.top-me.com/t1576-topic موقع فيلو صوفيا.

هكذا يكون الاستفهام الفلسفي في بعده النقدي يخدم استراتيجية البناء لا الإثبات، ويعمل على ممارية الاختلاف الممكن بين السؤال – جواب لا المطابقة القضوية – الأنطولوجية بينهما. فالجواب إيقاف لفعل التفلسف بينما الأشكلة تجعل من الجواب ذاته إشكاليا أي مناسبة لتجسيد حركية الاستفهام كترحال بين اللامفكر فيه والمفكر فيه بحثا عن العمق الذي لا قرار له (ماركس – نيتشه– فرويد) فإثبات القرار هو تحويل للمبحوث عنه إلى هوية خالصة ونهائية، وإقصاء للنقيض الممكن وتحقيق للوحدة في كليانيتها، بينما الأشكلة اعتراف بحقل المفارقة إن التفلسف عبر الأشكلة ليس تساؤلا عفويا، بل بناء لفضاء من علاقات المعنى : إنه مع الرأي الاعتيادي بعد استثماره .وهذا ما يسميه مايير بالجذرية التي تلعب فيها المساءلة أداة للأشكلة، تمييزا بين الفلسفي واللافلسفي ، فالسؤال إذن هو الفضاء المناسب لبناء المشكل وإظهار للمخفي والمحجوب، إنها كشف للمكبوت واللا مفكر فيه(١).

والملاحظ أنّ عدداً مهمّاً من الأسئلة التي يتمُّ طرحها في بعض السياقات لم تكن تنتمي إلى ما يُسمّى بالسّؤال الاستخباري، بل كانت تندرج ضمن ما يمكن أن نسمّيه بالسؤال المِحجاج الذي يهدف إلى إحراج الطّرف المسؤول، وإقامة الحجّة عليه، فالسائل يختار الوقت المناسب والسّياق المشكلي والمقامي المناسب ليثير السؤال وليطلب الإجابة من الطّرف المقابل فوراً وعلى موجات الأثير، ولا يترك لخصمه الفرصة للمناورة أو للهروب إلى الأمام أو للخروج عن موضوع السّؤال، والمراد إرباك المنافس، واستنطاقه على جهة السّرعة في مسائل دقيقة، والغاية هي إحراجه أو مفاجأته بما يعلم وبما لا يعلم، وهذا النهج في السؤال يندرج ضمن ما يمكن أن نسمّيه المحاججة الاستفهامية التي تقوم على طرح السؤال المفاجئ وتوليد الإجابة عنه من ردود الطرف المنافس، فإن هو أجاب أقنع أو أقام الحجة على نفسه، وإن هو تردّد أو تهرّب من الجواب عن جهة التّصريح كان موصوفاً بالعاجز في رأي الجمهور المتقبّل للخطاب(٢).

(١) ينظر: الدرس الفلسفي والأشكلة (نت)

(٢) ينظر: إستراتيجيات الحجاج في المناظرة السياسية، أنور الجمعاوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة القطر، ٢٠١٣ :٢٩.

من هنا نتبّين أنّ السّؤال لا يقف عند مطلب الاستخبار في الخطاب، بل يتعدّى ذلك ليستقيم أداةً فعّالة وتقنية إستراتيجية مهمّة يعتمدها السّائل ليقيم الحجّة على خصمه ويدفعه نحو مجاهل الردِّ أو الصّمت أو الهروب إلى الأمام.

المساءلة الحجاجية في الشعر :

تكمن أهمية السؤال في الخطاب الأدبي من أنها تعمل على توليد المعاني، ومع كل قراءة جديدة وعملية تحليلية تتجدّد بنية السؤال وتتضاعف وتتّجه إلى أكثر من معنى، لأن السؤال يتمتّعُ بثراء في الدلالات والإيحاءات يستعصي تحديدها لكثرتها وغزارتها واختلاطها واشتباكها[١] فضلاً عمّا يفتحه من فضاء تأويلي واسع، يُمكّنُ المتلقّي من خلاله اقتراح فضاءات للإجابة عن تلك الأسئلة التي تحتشدُ بها القصيدة.

١. قال دريد بن الصمّة يرثي أخاهُ عبد الله: [٢]

وهوّنَ وجْدي أنّني لم أقُل له كذبْتَ ولم أبْخل بما ملكت يدي
وكُنتُ كأنّني واثقٌ بمُصدّرٍ يُمشّي بأكناف الحبيبِ فمحْتدِ
غداةَ دعاني والرماحُ ينُشْنهُ كوقع الصّياصي في النسيج المُمدّدِ
وكنتُ كذاتِ البوِّ ريعت فأقبلتْ إلى جِذمٍ من مسكِ سقْبٍ مُجلّدِ
فطاعنتُ عنهُ الخيل حتّى تبدّدتْ وحتّى علاني حالِكُ اللّون أسودِ
طِعانَ امرئ آسى أخاهُ بنفسهِ وأعلمُ أنّ المرءَ غيرُ مُخلّدِ
وهوّن وجْدي أنّما هو فارِطٌ أمامي وأنّي وارِدُ اليومِ أو غدِ

(١) أسلوبية السؤال– رؤية في التنظير البلاغي، د. عيد بلبع، دار الوفاء، القاهرة، ط١، ١٩٩٩ :٧٦.
(٢) ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدّم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط١، ١٩٨٧ : ٧١.

يُعدُّ الحجاج الناجح هو ما يفترضُ أو يتوقّعُ حجاجاً مضادّاً فيسعى إلى سدِّ المنافذ أمامه ويُجيبُ على كُلِّ سؤال قد يطرحهُ المتلقي[١] ، ففي هذه الأبيات يُحكمُ الشّاعرُ الصّلة بين مقاطع القصيدة ويسدُّ المنافذ أمام حجاج مُضاد يُمكنُ أن يجعل ما قيل سابقاً محلّ شكٍّ وتساؤل، فالشاعرُ لم يتأسّ ولم يتجلّد لفقد أخيه إلّا لأسباب ثلاثة، هي في الواقع حججٌ ثلاثة يُقدّمُها الشّاعر لتبرير تأسّيه وذهاب شيء من لوعته لفقد أخيه؛

الأولى: أنه طالما أحسن مُعاملة أخيه ولم يجفه بأقل جفاء.

والثانية: أنه لمّا استنجد به في ساحة القتال حين كانت رماحُ الأعداء تنوشهُ أنجدهُ بل طاعن عنه طعاناً شديداً كاد يُهلك فيه.

والثالثة: حتميّةُ الموت، فهو قدرٌ لا مفرّ منه وإن نالت المنيّةُ من أخيه اليوم فغداً سيحينُ أجله هو.

وقول الشاعر:

غداةَ دعاني والرماحُ يَنُشْنهُ كوقع الصّياصي في النسيج المُمدّدِ

قولٌ مُؤثرٌ بفضل التشبيه القائم في عجز البيت فهو يُشبِّهُ وقع الرّماح على جسد أخيه بوقع صياصي الحياكة على قطعة من النسيج، فالجسدُ المُمدّدُ أضحى عاجزاً عن ردِّ الرّماح فتألّبت عليه وأمعنت في ذلك فكان كنسيجٍ لا حول له ولا قوّة أمام حائكه، والصورة بهذا المعنى لا تأتي كإجابة على هول المُصاب فحسب؛ بل وعلى عُمق ألم الشاعر الذي ظلّ مُستحضراً لصورة أخيه القتيل في أحلك اللحظات السّابقة للموت

وقوله أيضاً:

وكنتُ كذاتِ البوِّ ريعت فأقبلتْ إلى جِذمٍ من مسكِ سقْبٍ مُجلّدِ

يقومُ أيضاً على تشبيه ذي طاقة حجاجيّة هائلة؛ فهو يُشبّه نفسه في ذُعره بل في رُعبه حين أقبل على أخيه وقد أحاط به الأعداء بناقة مُروّعة أقبلت على ولدها المذبوح وقد

(١) يُنظر: دراسات في الحجاج قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، د. سامي الدريدي الحسني، عالم الكتب الحديث، إربد، عمان، ط١، ٢٠٠٩ :٤٦.

حُشيَ جلدهُ بالحشيش أو التبن لتعطف عليه أُمّهُ فيدرّ لبنُها، فقد فزعت لفقده وأقبلت مُلتاعة على ما ظنّتهُ هو، كذلك روّع دريد لمرأى أخيه تنوشه الرّماحُ وأقبل عليه ليدرك أنّ ما بقيَ منه ليس هو، وقوّة الحجاج في الصورة لا تكمنُ في تأكيد شدّة الفزع لمن سأل أو يسأل عنه فحسب؛ بل وفي تأكيد حقيقة قاد التشبيهُ إليها وهي أن عاطفة الشاعر لم تكن عاطفة أُخوّة فحسب بل هي عاطفة أمومة، وليس بعد الأمومة شيء، فهو لم يُفجع في أخ بل فُجِع في فلذة كبد

وكأن الشاعر أراد أن يُجيب السائل (المفترض أو الحقيقي) عن علاقته وعاطفته تجاه أخيه فكانت الإجابة من خلال هذه الصورة التشبيهية الرائعة.

إن قوّة التشبيه والاستعارة تتأتّى من قُدرتهما على التقريب بين عصرين من نظامين مُختلفين مع مُحاولة جاهدة لطمس ما بينهما من فروق خلافاً للمُقارنة كطريقة في الاستدلال؛ ذلك أن المقارنة تُجرى عادة بين عُنصرين من نظام واحد فتُقامُ تراتبية مُعيّنة يستنتجُ المُتلقّي حُكماً ما[١]، ومن هُنا يتبيّن أنّ القول المجازي أكثر إقناعاً وأبلغ تأثيراً من القول العادي لما يحمله في جنباته من ثنائية السؤال والجواب.

٢. يقول حميد بن ثور الهلالي:

حلفْتُ بِربِّ الراقصاتِ إلى منىً زفيفاً وربّ الواقفين على الحبْلِ
لوْ أنّ ليَ الدّنيا وما عُدِلت به وجُملٌ لغيري ما أردتُ سِوى جُملِ
أتهجرُ جُملاً أم تُلِمُّ على جُملٍ؟ وجُملٌ عيوفُ الرّيق جاذبةُ الوصلِ
فوجْدي بِجُملٍ وجْدُ شمطاء عالجت مِنَ العيشِ أزماناً على مررِ القُلِّ

ينهضُ هذ النص على دعوى رئيسة هي دفاع الشاعر عن حبه في وجه لائميه المعترضين عليه، أو في وجه "جُمل" المحبوبة غير الآبهة بكلِّ هذا الحب، أو في وجه الاثنين معاً، ولعلّ هذا ما دفع الذّات الشاعرة إلى إعلان موقفها بقوّة، حيث لا تروم من خلاله تأكيد الحبِّ فحسب، ولكنها تسعى بالأساس إلى تغيير موقف المخاطبين وإقناعهم

(١) يُنظر: دراسات في الحجاج، د. سامية الدريدي الحسني:٤٨_٥٠.

بما تؤمن وتعتقد، وفي سبيل هذا الهدف وظّف الشاعرُ مجموعة من الملفوظات البلاغية والاستفهاية التي يرجو بها أن يتحوّل موقف "جُمل" من الإعراض إلى الإقبال ويتحوّل بها موقف مخاطبيه من اللوم إلى الإقرار.

يضعُ (القسم) بتصدّره مقدّمة النص على نحو مباشر في قلب الإشكال النصي، ليس إبّان حله وانقضائه؛ فـ (القسم) فعل اضطراري ناتجٌ لنكران (المُقسم) لما يوجّهه إليه (المُدّعي) من سؤال واحد أو عدّة أسئلة، ومن هُنا يبدو (القَسَم) السبيل المتاح أو المتبقي أمام المتكلم، ومن المفترض أن يُنهي (القَسَم) الإشكال لأنه ينهض على أبعاد عِدّة، منها:

أولاً: أنه يستندُ على ما بين طرفي (القَسَم) من وحدة عقدية وبدون هذه الوحدة تتقوّضُ طاقته وحجيته، وهذه الوحدة أو هذا التوافق بين طرفي التخاطب مبدأ حجاجي أساسي[١]

ثانياً: أنّ (القَسَم) يأتي _غالباً_ نهاية لجدل طال وأسئلة أُثيرت، دون أن يُحسم، فـ (القَسَم) حصنٌ أخيرٌ تلجأُ إليه الذات المحاججة لدحض اتهام المخاطب والرد على الكثير من شكوكه وأسئلته.

ثالثاً: يمتاز (القَسَم) ببعده التداولي الذي يُنجزُ هدفاً تعلو به قيم العدل والحق، وهذا يعني أنه حُجّة مباشرة وقاطعة في دلالتها على صدق الموقف.

رابعاً: بناء على التوافق العقدي بين طرفي الخطاب فإن الطرف الآخر (المُقسم له) يرضخُ للقَسَم وبذلك ينحسمُ الخلاف بين الطرفين[٢]

مادة القسم:

تنتمي مادة القَسَم إلى الواقع المُشاهد وتتأسّس عليه، وكأن الشاعر حين أزمع الحلف تلفّت حوله بأي شيء يحلفُ؟ فلم يُؤثِر فيما هو مُشاهد أمامه غير الإبل السائرة إلى "منى" المكان المقدّس، والواقفين على الجبل والذي يلتقي هو الآخر مع سابقه في هدف المسير وغاية الإبل:

وربّ الواقفين على الجبْلِ

(١) يُنظر: نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، د. أبو بكر العزّاوي: ٧٩.

(٢) ينظر: في حجاج النص الشعري: محمد عبد الباسط عيد:٦٣.

فالشاعر يُقسمُ بمادة واحدة تلونها الإضافة مرتين، مرة مع ربِّ الإبل السائرة إلى "منى" وأخرى مع "ربِّ الواقفين على الجبل" فهو قسم يستحضرُ مشهداً مُقدّساً يجمعُ بين الحركة وقرارها، بين السائرين إلى مكان المقدّس والواقفين على الجبل، ليمنح الواقع المشاهد كله بُعداً مقدّساً تتضاعفُ به سلطة القسم التي تتسعُ مظلّتها فتتقدّم لتنزع كُلّ الشكوك من صدر المخاطبين

فإذا ما انتقلنا إلى البيت الثاني ألفينا تصدّره بصيغة الشرط التي يترابط فيها الفعل بالجواب على نحو إلزامي قاطع، وهذا ما يُمكننا مُتابعته على النحو التالي:

لو أن الدنيا.....

(وما عُدِلت به وجُملٌ لغيري)

ما أردتُ سِوى جُملِ.

فجُمل هي بُؤرة دلالية لا سبيل معها إلى إمكان آخر إنها المحبوبة التي تسبق النفي "ما" والتي تلي الاستثناء "سوى" هي "جُمل" التي تعني كل شيء، وإذا أضفنا هذا إلى ما استخرجناه من دلالة القسم في البيت الأول تأكد لنا أن الخطاب قد استوفى الكثير من إمكانات التأثير في مخاطبه، وأنه إن فاته تمام الإقناع فلن تفوته القدرة على التأثير واجتذاب مخاطبيه إلى فضائه تمهيداً لما سوف يقدّمه.

ويأتي البيت الثالث عقب بيتي القسم مُستهلّاً بصيغة الاستفهام التي يُعوّل عليها التحليل الحجاجي كثيراً، فالاستفهام يضمُّ إلى طاقاته الدلالية طاقة أخرى تداولية صريحة ومباشرة، ومن هنا تأتي قدرته على حمل المخاطب إلى عالم النص.

ففي البيت الثالث تتوجه الذات أو تلتفت إلى نفسها عبر الفعل المضارع:

أتهجرُ جُملاً؟

أم تُلِمُّ على جُملِ؟

تُقدِّمُ الذات هنا _عبر التساؤل_ حيثيّات تعلّقها بـ "جُمل"، والفائدة الحجاجية التي يُنجزها أسلوب الاستفهام تكمنُ في تعدّد الأصوات التي يُفترضُ التقاؤها حوله، والتساؤل يعملُ على موضعة الشعور عبر هذه المشاركة التي يتأكد بها حجاج الشاعر من أكثر من جهة. وعلى هذا يبدو الوجد حقيقة مكينة، وليس مُجرّد تجربة عابرة، يُمكنُ بقليلٍ أو كثير من الاحتمال التخلّي عنها، إنها خيارٌ وجودي راسخ، وعبر فعل التساؤل تستبق الذات أي

دعوة قد تُشيرُ عليها بصرْمٍ من المجتمع، فالتساؤل الاستنكاري الذي تتحوّل الذاتُ من مخاطِب محاجِجٍ (بكسر الجيم) إلى مُخاطَبٍ محاجَجٍ (بفتح الجيم) يُمكّنها التساؤل من تجاوز المنحى الذاتي النسبي الخاص إلى الحديث عن مُعطى عام يلتقي حوله الجميع، وهو ما يجعل الذات ألزم وبيانها أرسخ من أن يُعارض؛ فـ "جُمل": "عيوف الرّيق"، وهي أيضاً: جاذبة الوصل.

وفي البيت الرابع يبدأ الحجاج بالحكاية وتحديداً من التشبيه البلاغي الذي يمثل فيه الطرف الأول حالة الشاعر أو جده بـ "جُمل" ويمثل فيه الطرف الثاني بنية سردية مُكوّنة من حكايتين سرديّتين، تتوالد من الحكاية الأولى حكاية ثانية.

فبنية التشبيه في قوله "فوجْدي بِجُملٍ وجْدُ شمطاء" تصبُّ في الهدف الرئيسي، وهو تجلية وجْد الشاعر كي يقنع مخاطبيه بصدق موقفه وإصراره عليه، ولا شكّ أنّ تقنية التشبيه من أقدر التقنيات البلاغية على تحقيق هذا التقارب أو على التخفيف من صدمته وغرابته، وهذا يتضح إذا ما قارنا التشبيه _في هذا الصدد_ بالاستعارة، فالتشبيه أداة بلاغية تبدو أقرب إلى الشرح والتوضيح ومن ثمّ الإقناع الذي هو غاية كل حجاج(١)

ورغم ذلك، فإن الجمع بين الطرفين أو قرن الطرف الثاني بالأول ينطوي على قدر من الغرابة؛ فإضافة الدال "وجد" إلى الدال "شمطاء" أمر غير مطروق من زاويتين:

الأولى: تتمثّل في مجرّد التفات النص إلى امرأة شمطاء، تحيا على هامش الحياة لا يعني بها أحد، هذا فضلاً عن محاولة اكتناه وجدها واستنباط داخلها.

والثانية: تتحقق في مُجرّد القران بين وجد الذات ووجد الشمطاء، ناهيك عن مقاربة وجد الذات نفسه من خلال وجد الشمطاء، وأن تكون هذه المقاربة عبر بنية التشبيه التي تنطلق مما بينهما من تلاق.

يبدو هذا هو المقصود وأنه يفتح الباب أمام تساؤلات عدّة عن طبيعة المتلقي الذي استهدفه النص، أو ما يُعرف بالمُخاطَب (التاريخي) من هو؟ ولماذا حرص النص على حجاجه بالحكاية؟ فضلاً عن أن تكون عناصرها من المتداول الهامشي؟ وهل حكاية

(١) ينظر: في حجاج النص الشعري: ٧٦.

الشمطاء اختراع هذا النص وابتكاره؟ أم هي حكاية متداولة كان للنص فضل صوغها والاحتجاج بها؟

مثل هذه التساؤلات وغيرها ممّا قد لا يتمكّن المتلقّي من دفعه تضع أمام المقاربة الحجاجية آفاقاً من النظر والتفكر، وسواء تمكّنت المقاربة من اكتناه بعضها أو كلها فمن المؤكّد أننا إزاء ضرب من العدول يدعو المخاطب بقوّة إلى متابعة هذا الوجد الخاص الذي تستبطن به ومن خلاله الذات حقيقة وجدها وتُشكِّل به ومن خلاله بُؤرة حجاجها.

لقد اعتمد التشبيه من هذه النقطة خاصية الحكي الغريب الذي يتكئ على رصيد بنائي تأكدت جدارته في الاستحواذ على متلقيه وأسره إلى الخطاب(١).

ومن الواضح أن التشبيه يتكئ في استراتيجيته الحجاجية على طاقة العدول التي تُثيرُ الانتباه وتدفعُ المتلقي إلى التساؤل.

فـ "الشمطاء" تتحرّكُ ضمن مجال دلالي واقعي، تُعايشُ فيها وضعيتها الاجتماعية بحكم تقدّمها في العمر، فهي: "عالجت من العيش أزماناً" يُشيرُ هذا التركيب إلى مُجاهدة طويلة لأشكال من المعاناة، ويُشيرُ التركيب المذيّل: "على مرر القُل" إلى فقرها وحاجتها، فـ "الشمطاء" جاهدت، لكنها لم تحصل إلا على النذر اليسير الذي يكفيها بالكاد، ولكن التركيز عليها يؤدي إلى استباق هذا العالم البائس في أذهاننا، وأن أكبر معالم هذا البؤس تتبدّى منذ اللحظة الأولى التي أُضيف فيها الدّال "وجد" إلى الدال "شمطاء"

٣. قال طرفة بن العبد: (٢)

أشجاكَ الرّبعُ أم قِدمُهْ ... أم رمادٌ دارسٌ حُمَمُهْ

كسُطورِ الرّقِّ رقّشهُ ... فبالضُّحى مُرَقّشٌ يشِمُهْ

لعِبتْ بَعْدي السّيُولُ به ... وجرى في ريّقِ رِهَمُهْ

(١) ينظر: في حجاج النص الشعري: ٧٩.

(٢) ديوان طرفة ابن العبد: ٧١.

تنهض هذه الملفوظات على الاستفهام أسلوباً وقد استندت إلى ما فيها من افتراضات ضمنية وسيلة للإقناع، فهو يُخاطبُ ذاته في ظاهر الملفوظ لكنّه في واقع الأمر يُخاطب الجاهليّ عامّة، "فالأسئلة أشدُّ إقناعاً للمخاطب، وأقوى حجّة عليه، وذلك عندما يكون قصدُ المُخاطِبِ غير مُباشر"[١] فالشاعر يطرحُ بهذا السؤال إشكال علاقة الإنسان بالمكان: علاقة الغائب بمكان كان له فيه ماض طال أو قصر وذكريات قلّت أو كثُرت.

والسؤالُ في هذا المقطع الشعري:

قائمٌ في الظاهر على افتراضات ثلاثة:

أولها: أنّ المكان محزن في ذاته.

وثانيهما: أن ما يحزن المرء إنما قِدمُه.

وثالثهما: أن ما يُثيرُ الحزن رماد في المكان أنبأ بفعل الزمن فيه.

ولكنّ الافتراض الأعمق والواقع خلف كل هذه الافتراضات الظاهرة أنّ الشجن واقع والحزن حاصل فهو إحساس الإنسان بالمكان أو هو العاطفة المتولّدة عن تجربة الجاهليّ مع المكان. فأيّاً كانت الإجابة فإنها تحملُ إقراراً بهذا الشّجن ، ومن ثمّة اعترافاً بأنّ علاقة الجاهليّ بالمكان إشكال رُبّما لا يُحلُّ إلا بالاستقرار ونبذ قانون التّرحال وترك الضّرب في الأرض دون قرار[٢]، لهذا بدأ بالتساؤل كي يكون حافزاً ودافعاً لبني قومه أن يضعوا حدّاً للحِلِّ والترحال الذي أرّق الجميع ومن ثمّ كان على ا الشعراء أن يفتتحوا معظم قصائدهم بهذا الإشكال.

٤. قال مروان بن أبي حفصة يمدح المهدي بقصيدة بدأها بقوله: [٣]

طرقَتْكَ زائرةً فحيِّ خيالَها بيضاءَ تخلط بالحياء دلالها

(١) آليات الحجاج وأدواته، عبد الهادي بن ظافر الشهري، بحث مقدم ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: د. حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٠ :١/٨٥.

(٢) ينظر: الحِجاج في الشعر العربي القديم: ١٤٣.

(٣) شعر مروان بن أبي حفصة، جمع وتحقيق: د. حسين عطوان، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٨٢: ٩٦. طرق: زار وألم.

قادتْ فؤادَكَ فاستقادَ لها ومِثْلُها قادَ القلوبَ إلى الصِّبا فأمالها

وبعد هذه المقدمة بدأ مروان بمدح الخليفة ومما جاء في مديحه [١]:

هلْ تطمسون من السماءِ نُجومها بأكفِّكُم أم تسترون هلالها

أم تجحدُونَ مقالةً عن ربِّكُم جبريلَ بلَّغها النبيَّ فقالها

شهدت من الأنفال آخرُ آيةٍ بتراثهم فأردتُّمُ إبطالها

بنى الشاعر حجته في هذا النص على مجموعة من الأسئلة:

هل تطمسون من السماء نجومها

أو تسترون هلالها

أو تحجبون مقالةً عن ربكم

وتأتي أهمية المساءلة من الناحية الحجاجية في أن "السؤال – أي سؤال– هو إشكال أو بعبارة أخرى إن السؤال والإشكال يتماهيان، فإذا بالسؤال يحيل على صعوبة معرفية أو على ضرورة اختيار، وإذا بالسائل متى طرح سؤالاً دعا المتلقي إلى اتخاذ قرار، بل إنَّ الجواب حتى وإن علم السؤال الذي هو مصدره يثير السؤال، ومن هنا ندرك أهميَّة المساءلة من الناحية الحجاجية، إذ لما كان الكلام إثارة السؤال، أو استدعاء له فإنه يُولِّدُ بالضرورة نقاشاً ومن ثمَّة حجاجاً فإذا بالكلام والحجاج متصلان على نحو عميق، وإذا بالحجاج ماثل في كل نوعٍ من أنواع الخطاب، على هذا النحو ندرك خطورة طرح الأسئلة في الخطاب، إنها وسيلة هامَّة من وسائل الإثارة ودفع الغير إلى إعلان موقفه إزاء مشكل مطروح، هذا الموقف يُحدِّدهُ المتكلم بقرائن ومواد اختبارية تحضر في السياق وتقود عملية الاستنتاج المتصلة بالسؤال المطروح"[٢].

(١) شعر مروان بن أبي حفصة: ٩٩، وتطمسون: أطمس الشيء: محاه وأخفاه، وطموس الكواكب: ذهاب ضوئها، معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٧٩ : ٢٢٤/٣.

(٢) الحجاج في الشعر العربي القديم: ١٤١.

والأسئلة المطروحة في هذه الملفوظات متضمنة معنى النفي، فالشاعر يحاجج خصوم بني العباس مخاطباً إياهم بأنكم لن تستطيعوا أن تطمسوا من السماء نجومها وأنكم لن تستطيعوا أن تستروا الهلال، ومن ثمة فإنكم لن تستطيعوا أن تحجبوا مقالة الله في كتابه الكريم، والتي فيها آية الميراث، وعلى هذا فحقُ العباسيين في الخلافة – بحسب رأي الشاعر – أمر واضح لا يمكن للعلويين أو غيرهم أن يستروه أو يخفوه كما لا يستطيعون ستر نجوم السماء أو إخفاء هلالها، لأن بين هذه الملفوظات علاقة سببية تُعدُّ ((من أبرز العلاقات الحجاجية وأقدرها على التأثير في المتلقي وهي في حقيقة الأمر ضرب مخصوص من العلاقات التتابعية، إذ يحرص المتكلم على ربط الأفكار والوصل بين أجزاء الكلام دون الاكتفاء بتلاحق عادي بينها وتتابع طبيعي يجعل الأحداث والأفعال أو الأفكار والأحكام متسلسلة متجاوبة، بل يعمد إلى مستوى أعمق من العلاقة فيجعل بعض الأحداث أسباباً لأحداثٍ أخرى، ويسم فعلاً ما بأنه نتيجة متوقعة لفعل سابق، ويجعل موقفاً معيناً سبباً مباشراً لموقف لاحق))[1]، إذن هناك علاقة سببية بين هذه الملفوظات قائمة على أن المنكر لآية الميراث هو منكر بالنتيجة لآية النجوم وآية الهلال والمنكر لهما هو منكر لله الذي خلقهما، فيدخل بذلك في دائرة الكفر والزندقة ويخرج من دائرة الإيمان لأنه أنكر آيات الله.

وفي الملفوظ الأخير حاول الشاعر عمل شبكة من العلاقات التي تربط بين حكم العباسيين وما نصَّ عليه القرآن، محاولاً إحالة النص بأكمله إلى علاقة عقدية لا يمكن الجدال فيها يُكرِّس بها أحقية العباسيين في وراثة الخلافة على نحو يقطع على العلويين كل احتجاج يصبُّ في أحقيتهم في الإمامة.

من هنا نتبّين أنّ السّؤال لا يقف عند مطلب الاستخبار في الخطاب، بل يتعدّى ذلك ليستقيم أداةً فعّالة وتقنية إستراتيجية مهمّة يعتمدها السّائل ليقيم الحجّة على خصمه ويدفعه نحو مجاهل الردِّ أو الصّمت أو الهروب إلى الأمام.

(١) الحجاج في الشعر العربي القديم: ٣٢٧.

٥. قال المتنبي وقد سمع زئير الأسد: [١]

أجارِكِ يا أُسد الفراديسِ مُكرمٌ فتسكنُ نفسي أم مُهانٌ فمُسلِمُ؟
ورائي وقُدّامي عُداةٌ كثيرةٌ أُحاذرُ من لصٍّ ومنك ومنهمُ
فهل لكِ في حِلفي على ما أُريدهُ فإني بأسباب المعيشةِ أعلمُ؟
إذاً لأتاكِ الخيرُ في كُلِّ وجهةٍ وأثريتِ مِمّا تغنمين وأغنمُ

تتضمن صيغ الاستفهام (الهمزة وهل) رابطاً حجاجياً بنيوياً يضفي على دلالات النص التماسك والترابط،[٢] ذلك أن صيغة الاستفهام هي أداة حجاجية ناجعة تُحفّزُ المتلقي على استيعاب جوهر خطاب الحجاج والإصغاء له[٣]، ففي هذا الملفوظ يتوجه المتنبي بالسؤال _في هذا الخطاب_ إلى ما لا يعقل وما لا ينتظر منه جواب والمتمثل في الأُسود فعبارة: "أجارِكِ يا أُسد الفراديس مكرم" وعبارة: "فهل لكِ في حِلفي" هذا التساؤل مما يصدمُ المتلقي ويستفزُّ وعيه ويستثيرُ تساؤله، إذ أنّ من غير المعقول مجاورة الأُسود، وليس مما يصح أو يعقل أن يهرب الإنسان ممن يخاف ويحذر إلى ما لا يؤمن غدره وغيلته من الأسود أو أن يتحالف معه. فالمنطق يحتمُ على متلقي هذا الخطاب الشعري عدم تصديق هذه القضية، لكنّ الشاعر استطاع بقوة الخيال أن يوجد واقعاً يتواءمُ وسياق الرؤية وتيار التجربة والذي عكس مشاعر القلق والإحباط والرغبة في الإنفلات ورفض الواقع باللجوء إلى مجتمع الأُسود بحثاً عن الحرية والكرامة في جواره، فالشاعر وجد في مجتمع الأسود ما لم يجده في مجتمعه الإنساني، ولمس فيه

(١) ديوان المتنبي، شرح أبي البقاء العكبري، ضبط نصه وصححه كمال أبو طالب، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧: ٩٢/٤. الفراديس موضع بالشام، الحلف: المعاقدة والمعاهدة، وجهة: الجهة والموضع، أثريت: من الثرى وهو كثرة المال.

(٢) ينظر: الخطاب الحجاجي في شعر بشّار بن بُرد مُقاربة في تحوّلات الهوية الثقافية، د. هيثم سرحان، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، السعودية، العدد الحادي عشر، محرّم ١٤٣٥هـ، نوفمبر٢٠١٣م :٢٩

(٣) ينظر: الحجاج في الشعر العربي القديم: ١٤٦،١٤٠.

حاجة نفسه الجريحة فسعى لهذا الحلف والركون إلى مجتمع الأُسود على الرغم من شراسته، يُسائله ويستنطقه وقد غالبه اليأس وهو يرى بعين الشاعر وحدسه مظاهر الذل والمهانة والخواء تقضُّ أمنه وسكون نفسه، في واقع تُنتهكُ فيه الكرامة وتُخدشُ فيه العزّةُ والكبرياء.

إن بنية الاستفهام التي نهض عليها هذا النص تدعونا إلى أن نتساءل ما الذي وجده الشاعر في مجتمع الأُسود ليتحالف معه ولم يجده في مجتمعه الإنساني الذي يعيشُ فيه؟

لعلّ القوة الضاربة الشرسة هي ما يبحث عنها الشاعر في مجتمع الأُسود وقد استشعر فيها الشاعر _حينما سمع الزئير_ قوّة هائلة مرعبة أعظمُ من قوّة الإنسان والتي هي _كما يبدو_ مطلبه المأمول وغايته المنشودة المتمثِّلة في هذا الحلف بما ينطوي عليه من معاني النصرة والاستقواء بالقوي [1]

لقد وعى المتنبي بحدسه خواء الحاضر، وأدرك الحاجة الملحّة إلى قوّة شرسة في مواجهته قادرة على صون كرامة الإنسان وعِزّته وكبريائه، وقد تمثّلت في النص بصورة الأُسود هذه، التي تحوّلت في الخيال الاستعاري شخوصاً لها دورها في فضاء هذه التجربة والتي تجسّدت من خلالها رؤية الشاعر وحلمه في التغيير.

وبهذا ندرك تماماً أن بنية الاستفهام المجازي التشخيصي التي اعتمدها الشاعر في هذا الخطاب لعبت دوراً كبيراً في إقناع المتلقين على أن الضعف والوهن الذي تعاني منه الخلافة العباسية في تلك الحقبة من الزمن يكمن في اعتماد الحكام والولاة على الضعفاء والمرجفين، وأن العلاج يكمن في الاعتماد على الرجال الأقوياء الذين يصونون كرامة الأمة ويحتفظون بعزّتها وكبريائها .

الاستنتاج:

(١) ينظر: المتوقع واللا متوقع في شعر المتنبي، مقاربة نصية في ضوء نظرية التواصل والتأويل، د. نوال مصطفى إبراهيم، دار جرير، عمان، الاردن، ط١، ٢٠٠٨ : ٢٠٢.

الحجاج عند مايير يتمثّل في إثارة الأسئلة وهذا عنده هو الأساس الذي ينبني عليه الخطاب، ويُعدُّ هذا التصوّر فكرة خليقة بالاهتمام وتتمثّل في السؤال الحجاجي الذي يجب أن يحمل إشكالاً فكريّاً يُؤدّي بالمخاطب للبحث عنه ويكون مصدر متعة، وقد سعى مايير من خلال مشروعه الفكري لإقامة نظرية حجاجية أساسها فكرة التساؤل، لأن الوصول إلى السؤال الجوهري يُعدُّ أهمّ خطوة في أيّة نظرية وأيّ موضوع، وقد كان منطلق مايير في نظريته هذه منطلقاً لغوياً بلاغياً، ويدعو الباحث النقاد والباحثين إلى مراجعة آراء وأطروحات مايير في اللغة والبلاغة، والرجل لا يزالُ عطاؤه مستمرّاً إلى يومنا هذا.

Debating in Arabic poetry
Selective Samples

Lect. Dr. Abdullah Beram Younis

Abstract

See philosopher Belgian Michel Mayer Michel Meyer, the nature of his speech based on the question and the answer is producing for the pilgrims, what the argument has only Answer viewpoint answered her question estimator deduce the recipient implicitly through the answer, he felt that the question and answer generate discussion among panelists, which in turn represents pilgrims , and for this Meyer gives utmost importance to his theory Altasaalah because of the effects of orbital, because for him all our words based on the question, which ends in the final process of conclusion .

In this paper, I try to highlight the role of Hajaji (debating) in Arabic poetry .